بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد: فيقول المصنفُ رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا –وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ– **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ . " رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**

هذا الحديث حديثٌ عظيم، وكان شيخي يقول عنده: هذا حديث عظيم..وهو من جوامع الكلِم الذي يدور عليه كثيرٌ من تصرّفات المسلم؛ فموضوعه حقوق المسلمين، وترتيب العلاقات بينهم، وبيان حرمتهم.

وقوله رحمه الله: "**عن أبي هريرة ﷺ**"..سبقت ترجمةُ هذا الصحابي الجليل..وقولهﷺ: (لا تحاسدوا)..النهي هنا للتحريم كما هو مقرّرٌ عند الأصوليين وأهل العلم، فالحسَد محرّم..وما هو الحسد؟ الحسد: في الأصل بمعنى كراهية النعمة عند غيره؛ فإذا كرِهَ النعمةَ عند المنعِم عليه سواء تمنّى زوالَها أو لم يتمنَّ ذلك؛ فهو حاسدٌ..والمشهور عند الشرّاح والمتأخرين أنَّ الحسد تمنّي زوال النعمة؛ وهذا في الحقيقة نوعٌ من أنواعِ الحسد وهو من أشنعِها، ولكنَّ قصرَ الحسدِ على تمني زوال النعمة فقط قصورٌ في التعريف..ولهذا جاء في لسانِ جمع من أهل العلم وهو اختيار تقي الدين ابنِ تيميةَ رحمه الله: أنَّ الحسد في حقيقتِه اعتراضٌ على أمرِ الله وقدَرِه وقسمتِه؛ وفي ذلك يقول الحكيم:

أيا حاسدًا لي على نعمتي ... أتدري على من أسأتَ الأدب.

أسأتَ على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ماوهب.

فأخزاك ربك بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب.

إضافةً على هذا= تذهبُ حسناتُه ويأكلُها الحسدُ كما تأكل النارُ الحطب..وعلى كلّ حال: المسلم يستحضر قول الله تعالى: ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾**[الزخرف:٣٢]** ؛ الله سبحانه جلّ وعلا عليمٌ خبير؛ فمن أذعَنَ وآمن= خرجَ من قلبِه هذه الصفةُ الذميمةُ التي كانت سبباً للعنِ الشيطانِ وخروجهِ من رحمة اللهِ إلى سخطهِ وغضبِه. والحسد كذلك هي صفةُ اليهود، ثم إنَّ العاقلَ إذا تأمّل الحسد: وجدَه هو والكذب من أشنعِ الصفاتِ وأدناها؛ فماذا يستفيد الإنسانُ من هذا الاعتراض؟ وماذا يستفيد من زوالِ نعمة مسلمٍ آخر؟ ما هو العائد؟ نسأل الله أن يحفظنا جميعا..فالمسلم يفرَح لنعمة أخيه؛ ويسألُ اللهَ الغني الكريم الذي أعطاه أن يزيدَه وأن ينعِمَ عليه كما أنعمَ على أخيه كما قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ**﴾**[النساء:٣٢]** ..وعلى المسلم أن يدعوَ اللهَ كلَّ يومٍ أن يُطهّرَه من هذه الصفات الذميمة..والكلام على هذه المسألة مهمة ولها فروعٌ كثيرة؛ فهناك فرقٌ بين الغِبطة والحسد؛ فالغبطة تمنّي مثلِ نعمةِ أخيك دون كراهيةٍ لما حصلَ له من الخير؛ وهذا معنى قوله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلّطه على هلكته في الحق...الحديث) فالمراد بالحسد هنا الغِبطةُ كما نصّ على ذلك العلماء..

وهناك أسبابٌ للحسد، وعلاجٌ له ذكره العلماء، وما يجبُ أن يفعلَه المحسود، لكن نكتفي بهذا القدر.

تبقى مسألة: لو طرأ الحسد على قلبِ مسلمٍ دون أن يتكلّم أو يعمل؛ فهل يُحاسَب؟ قولان لأهل العلم موجودةٌ بتفاصيلِها في الشرح الثاني؛ والجمهور على أنّه محاسَبٌ ما لم يدفعْهُ ويُجاهِد نفسَه على طرد هذه الصفة الذميمة.

وقولهﷺ: **(ولا تناجَشوا)**..النَّجْش والنَّجَش: ضبطان لهذه الكلمة؛ بسكون الجيم وفتحها و"النَّجَش" في الأصل يدور على إضمارِ مكرٍ خديعة وغِش، وأصل النَّجشِ الاستتار..ولكنَّ الفقهاء اصطلحوا على صورةٍ من صُور النجَش فسمَّوه بالنجش، وهو عند الفقهاء: أن يزيد في السلعةِ مَن لا يُريدُ شراءَها ليقتديَ به غيرُه، ولها صورٌ كثيرة؛ فقد يكون الفاعل يريد بفعلهِ هذا نفعَ نفسِه كأن يكون عنده سلعة مثلها؛ فلو ابتاعتْ هذه السلعة..بتلك القيمة، ذهبَت سلعتُه بمثلها.لكن الذي يظهر أنَّ المرادَ في الحديث أعمُّ من ذلك،فهو يشمَلُ كلَّ مكرٍ

وخديعةٍ وحيلةٍ يوقِعها المسلمُ على أخيه المسلم، ويدخُل فيها دخولاً أوليّاً ما يذكره الفقهاء..وهذا محرّمٌ ولا ينبغي أصلاً أن يحومَ حوله مسلم.

وقولهﷺ: **(ولا تباغَضُوا)** يعني لا تتعاطَوا أسبابَ البُغض، لماذا؟لأنَّ البُغْضَ منهيٌّ عنه..والبُغض في الأصل خلافُ الحبّ، وتعريفُه بأكثر من هذا صعبٌ، وما ذُكِرَ في تعريفِه= فهو في الحقيقة تعريفٌ بآثارِه.والمقصود النهي عن البُغضِ وذلك بالوقوع في أسبابِه كالشتمِ والظلمِ والحرمان من المنفعة وذكره بأبغضِ أسمائه أو بتعمّدِ إيقاعه مباشرةً كنقلِ النميمةِ وذكر المساوئ ونحو ذلك، فكلّ ذلك داخلٌ في قوله ﷺ: (ولا تَباغَضُوا)..واستثنى العلماءُ ما يقَعُ لأجل دينِ الله، يعني: البغضُ في الله لكونِ الشخص كافراً أو فاسقاً..والبغضُ هنا لا يعني بحالٍ من الأحوالِ الظلمَ ولا الاعتداء..وهنا يقع السؤال: كيف أُبغِضُ العاصي وهو مسلم؟ والجواب: يُبغَضُ بقدر ما معه من المعصية، ويُحبُّ لوجود أصل الإسلام أو لما معه من الإسلام..وهذا واقعٌ وفيه كلامٌ كثير ، وفيه تفصيل ؛ هل يُبغض العاصي أم يُبغض العمل ؟ ﴿**وَأَنَاْ بَرِيۤءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ**﴾ **[هود:٣٥]** وليس من المجرمين.وأما التباغض لأجل الدنيا ممنوعٌ محرّمٌ وهو المعني بالحديث.وعلى المسلم أن يسعى بنزعِ سهامَ التباغض، وسدِّ طرقِه المفضيةِ إليه.

وقولهﷺ: **(ولا تدابَرُوا)**..التدابر مأخوذٌ من الدّبُر..فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهم ولَّى أخاه دبرَه وأعرضَ عنه..والمراد منه الهجرُ والقطيعة..وهذا اللفظ يشمَل التدابر الحسّي والمعنوي؛**الحسي**: بأن يُعطِي كلُّ واحدٍ أخاهُ قفاهُ ودبرَه احتقاراً له.. ، وأما إن كان لضيقِ مكانٍ أو طبيعةِ مجلسٍ فلا بأس ولا يدخلُ في هذه الصورة..وأما **التدابر المعنوي**: فهو الهجرُ والقطيعة.وهنا سؤال: ما الفرق بين التباغض والتدابر؟ ألا يدخلان في بعض؟ والجواب: بينهما عموم وخصوص وجهيّ، فقد يقع التباغض دون التدابر، تجِدُ الشخصَ يُعطي أخاهُ ما له من حق مع بُغضِه له لأجل أمرٍ دنيوي، والعكس صحيح، تجده هاجراً له قاطعاً سبيلَ المودّةِ وهو في داخله يُحبُّه..وهذا أمرٌ مشاهد؛ ولذلك نهى النبيُّ ﷺ عن الاثنين ونصَّ على كلِّ واحد..والهجر نوعان: إن كان لأمرٍ دنيوي- وهذا يقع من النفوسِ البشرية، وهي مجبولة على هذا- فإذا وقعَ فللمسلمِ أن يهجُرَ أخاه ثلاثة أيامٍ فقط، وما زاد على ذلك فحرام، وهنا رُوعِيَ فيه النفسُ البشرية ما جُبلت عليه، فتهدأ في هذه المدّة..وأما إن كان الهجرُ لأمرٍ

دينيٍّ= فيكونُ حينئذٍ منوطاً بالمصلحةِ كما نصَّ على ذلك أهلُ العلم..وهذا حصلَ للثلاثةِ الذين خُلّفوا كما في الصحيح..وذكر بعضُ العلماءِ كالخطّابي وغيرِه أن هجران الزوج لزوجتهِ وكذلك ما في معناه كالوالد لولده= هذا يجوز فوق الثلاث، فالنبي ﷺ هجَر أزواجَه شهراً.

وقوله ﷺ: (**ولا يبعْ بعضُكم على بيعِ بعض**) البيع على بيعِ أخيه له صور؛ أشهرُها أن يقوم شخصٌ بصرفِ شخصٍ سواء كان الثاني مشترياً أو بائعا، يصرفُه عن العقد معه بعدما اتفقا وتراضيا على ثمنٍ سواء في وقتِ الخيار أو بعد لزوم العقد على المختار؛ هذا هو الأقرب..فيقول للمشتري مثلا: سأُبيعك بأرخص من هذا، أو يقول للبائع: سأشتري منك بأكثر من هذا؛ فيُلجِئُهُ إلى أحد أمرين: إما فسخ العقد وحصول البغضاء والشحناء، أو الندم وعدم طيب النفس..وكلا الأمرين من المفاسد العظام، وقد يجرّ إلى الكذب وإظهارِ عيب في السلعة حتى يردها، وتصنّعه ونحوه كما لا يخفى من المفاسد، وهذا أمرٌ مجرّبٌ مشاهدٌ معلوم؛ فلهذا نهى عنه النبيُّ ﷺ..ولا يدخل في هذا ما يسمونه بـ "**المزاد**" ما دام البائعان لم يتراضيا على سعرٍ ويتفقا عليه والأمر في المساومة؛ فيجوز حينئذٍ..وقوله ﷺ: (ولا يبعْ بعضُكم على بيع بعض) البيع هنا يشمَل سائرَ العقودِ التي من جنسِها، كالإجارةِ ونحوِها.

وقوله ﷺ: (**وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً**)..كلمة "عباد الله"، هذا منادى..يعني: كونوا يا عبادَ الله إخوانا..وهذه العبارة للعلماءِ في تفسيرِها قولان:

فقال بعضُهم: هذه العبارة على ظاهرها، وهو أمرٌ بالاتصافِ بهذه الصفةِ ولزومِها كما قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا**)..اتصفوا والزموا هذه الصفة..هذا هو القول الأول.

والقول الثاني:أنَّ المراد الإخبارُ بنتيجةِ الاتصافِ بهذه الصفات؛ فإذا لزِمَ المسلمون هذه الأوامرَ المذكورةَ في الحديث؛ صاروا إخوانا..فكأن التقدير هكذا: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضُكم على بيع بعضٍ، فتكونوا إخواناً"،فعلى القول الثاني: تكون بياناً لنتيجةِ هذا الأمر وثمرتِه.

وفي الحقيقة الأمر محتمل..وفي قوله ﷺ: (وكونوا عبادَ الله إخوانا) إشارةٌ لطيفة؛ وهو ربطُ تحقيقِ العبوديةِ لله برعاية حقوق المسلمين؛ وهذا صحيح..فلا تقوى بلا أخلاق ورعايةٍ لحقوق المسلمين..فانتبه لهذا جيّدا..

ثم قال ﷺ: (**المسلمُ أخو المسلم**)..هذا تعليلٌ وتأكيد لما مضى..فمقتضى الأخوّةِ المحبةُ والألفةُ وحصول النفع وقطعُ سبلِ التفرقِ والشرّ..وقولهﷺ: (لا يظلِمُه) وذلك باستحلالِ حقوقهِ سواء الماليّة أو المعنويّة من عِرضٍ وغيرِه، والظلم أصلُه وضعُ الشيءفي غير موضعهِ تعدّياً، ففيه الاعتداء وانتقاصُ حقِّ الغير..والظلم محرّم بنصّ القرآن والسنة، وقد مضى معنا في الحديث القدسي: (إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرّما فلا تظالَموا)..وقوله ﷺ: (لا يظلمُه) هذا خبرٌ لأن .(لا) هنا نافية غير جازمة؛ لكنه بمعنى الأمر، أي: لا تظلِمْه..والمسلم المبتغي لله والدار الآخرة= يقِف عند أوامرِ الله ولا يعتدي..فإن وقعَ في الظلم؛ تحلَّلَ من أخيه بردِّ المظالم إلى أهلها على تفصيلٍ مذكور في الشرح الثاني..وقولهﷺ: (**ولا يخذُلُه**)..الخذلان تركُ النصرةِ المشروعة..فالمراد هنا ألا يتركَ نصرتَه المشروعة؛ فمن حق المسلمِ على المسلم أن ينصرَه سواء في دنياه بردِّ الاعتداءِ ومساعدتهِ على حوائجه، أو في دينهِ بدعوتِه وتذكيرِه وتعليمهِ وإخراجِه من براثنِ الغفلةِ والمعاصي..هذا يشمَلُ كلَّ هذه الصور..وهذا من بلاغةِ ألفاظِ النبي ﷺ..ومَن خذلَ مسلماً مع القدرةِ على نصرتِه فقد أتى محرماً ومنكراً عظيماً؛ نسأل الله أن يحفظنا جميعاً..وقولهﷺ: (**ولا يَكْذِبُه**) بفتح الياء، وضُبِطَتْ بضمّ الياء أيضا (**ولا يُكذِبُه**)..وذكر ابنُ عَلاّن الصدّيقي وجهاً ثالثاً وهو ضمُ الياء مع تشديد الذال هكذا (**ولا يُكذِّبُه**)..يعني لا ينسِبُه إلى الكذب؛ فيقول: أنت كاذب..هذا معناه على الضبط الثالث..وهذه اللفظة ليست في الصحيح ولا توجَد في بعض النسخ..لكنها في أكثر نسخ الأربعين، وهي عند الترمذي..ومعنى (ولا يكذِبُه) على الضبط المشهور أي: لا يقول له كذباً في حديثه؛ فيكذِب عليه..والكذب من أقبحِ الصفاتِ وأشنعِها؛ وقد جاء في الصحيح "أنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار" نسأل اللهَ السلامةَ والعافية..وهي من صفات أهل النفاق..وهنا يتكلَّمُ العلماءُ على مسألة التورية وأحكامِها، وهذا في الشرح الثاني.

وقولهﷺ: (**ولا يَحقِرُه**) أي: يزدريه ويستصغرُه ويستهزئُ به..وهذا في الأصل ناشئٌ من الكِبر؛ فيرى نفسَه أفضلَ منه ويترفّعُ عليه..وهذا واللهِ الهلاكُ والضلال..جاء في الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر)..فعلى المسلم ألا يزدريَ

المسلم؛ وأن يتَّهِمَ نفسَه دائمًا..بعض الحكماء قال: المسلم له عينان: فعين ينظر بها إلى محاسن المسلمين، وعين ينظر بها إلى عيوبِ نفسِه.

وقولهﷺ: (**التقوى ها هنا ويُشيرُ إلى صدره ثلاث مرات**)..مضى معنا بيانُ التقوى ومعناها لغةً وشرعاً في حديث: (اتقِ اللهَ حيثما كنت)..وقوله: (ويُشير إلى صدره) هذا كلامُ أبي هريرة ﷺ، يعني: لما قال النبيُّ ﷺ: (التقوى ها هنا) كان يُشير بيدهِ إلى صدره..وقوله: (ثلاثا) يعني قالها ثلاث مرات: (التقوى ها هنا ..التقوى ها هنا.. التقوى ها هنا)..وهذا في تعظيمٌ وتنبيه لأهمية التقوى، وملاحظتُها في الحكمِ والعمل، ولا يقتصر الإنسانُ على الظاهر في نفسِه ولا غيره..في نفسه كإن يعملَ أعمالاً في ظاهرِها خيرٌ وهو يُريد مِن وارئِها شيئاً آخر من حطام الدنيا الفاني؛ من مَحْمَدَةٍ عند الناس أو غيرِها..وفي غيرِه: كالحكم على الناسِ جزماً وقطعا باعتبار الظاهر فقط، يراهُ قليلَ الطاعةِ في الظاهر ولا يعلَم أنه في بيته يتنفّلُ ما بين المغرب والعشاء..رأى منه تقصيراً في النهار، ولم يطّلع على بكائِه واستغفارِه وتوبتِه في جوفِ الليل..وفي قوله ﷺ: (التقوى ها هنا) يحتمل أمرين: الأمر الأول: أنَّه قالها تعليلاً لقوله: (ولا يَحقِرُه)؛ فإنك لا تدري من الأعلى والأفضلُ عند الله تعالى؛ لأن الكريمَ عند الله صاحبُ التقوى، والتقوى في القلبِ لا يُطّلعُ عليها، وعلى هذا: فلا تحقِر مسلماً لكونه فقيراً أو بليداً أو قليلَ العلمِ ونحو ذلك، فلعلّه تقيٌّ كريمٌ على الله، وأنت عند اللهِ دونه بمراتب..هذا هو التوجيه الأول..بعض العلماء قال: المقصود بقوله: (التقوى ها هنا) يُشير إلى أنَّ هذه الصفاتِ التي ذكرها= تحتاج إلى تقوى وإيمان، فأشارَ إلى سببِها الباعثِ عليها..فهذا توجيهان لأهل العلم..وليس في هذه العبارةِ دليلٌ للمُرجئةِ ومَن على شاكلتِهم ويجري في مضمارِهم ممن يظنُّ أنَّ التقوى فقط في القلب ولا أثرَ له على الجوارح..لا..هو في القلب هذا صحيح، لكنه أيضا يظهرُ على الجوارح ولابدّ ما لم يكن معذوراً بإكراهٍ ونحوه..وقد ذكرنا هذه المسألة في الأحاديث السابقة.

وقولهﷺ: (**بحسْبِ امرئٍ من الشرّ أن يحقِرَ أخاه المسلم**)..يعني يكفيه من الشرِّ أن يحقِرَ أخاه المسلم؛ فلا يحتاجُ لهلاكِه وعارِه فضيحتهِ يومَ القيامةِ إلى شرٍّ آخر غير هذا الشرّ وهو "احتقار المسلم"..وهذا وعيدٌ شديدٌ جداً؛ لأن الاحتقار كما بيّن العلماء نابعٌ عن الكِبر في أصله.

وهنا تنبيه: ينبغي للمسلم ألاّ يأتيَ الأمورَ التي تزدريه عند الناس؛ فعليه باللباسِ المعتاد، والشكل المعتاد، ويستبرئُ لدينهِ وعِرْضِه..وقولهﷺ: (**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرام: دمُه ومالُه وعِرْضُه**)..هذا توكيدٌ لِمَا جاء في أوّل الحديث..وهذه الجملةُ قاعدةٌ عظيمة، ينبغي للمسلم أن يضعَها نُصبَ عينيه..فحُرمةُ المسلمِ عظيمة..ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقول هذه الجملةَ ويُذكّرُ بها في المجامع وفي الحجّ..وقولهﷺ: (دمُه) يعني بها الاعتداءَ مطلقاً سواء بالقتل فما دون؛ من قطعٍ لعضوٍ أو جَرحٍ ونحوه..وقولهﷺ: (ومالُه) بالسرقةِ أو الغصبِ أو المعاملات المحرّمةِ كالغشّ ونحوِه..وقولهﷺ: (وعِرْضُه) يتناولُ الغيبةَ والنميمةَ والفاحشةَ بمقدّماتِها..وسبَق أنَّ العرضَ هو مكانُ المدحِ والذمّ من الناس..وهذا الحديث كما ترون حديثٌ عظيم، يدور في أصلِه على تحقيق العلاقاتِ الأخويّة بين المسلمين، وأنهم إخوة، لكل واحدٍ منهم على أخيه في الدين ما على أخِ النسب..ومَن تأمّل هذا الحديث علِمَ سببَ ما نحنُ فيه من ضعفٍ ومذلّة، والله المستعان..

ثم قال المصنفُ رحمه الله: (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ،وحفَّتهم الملائكةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ."**

رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذا اللفظ.

هذا الحديث حديثٌ عظيم، قال فيه الإمام النووي رحمه الله: (جامعٌ لأنواعٍ من العلوم والقواعد والآداب)..وقوله رحمه الله: (**عن أبي هريرة** ﷺ) سبقت ترجمتُه..وقولهﷺ: (**من نفّس عن مؤمنٍ كُربةً من كُرَب الدنيا**)..**التنفيس** في الأصل بمعنى خروجِ النفيس والراحة..هذا في الأصل وعليه تدورُ فروعُ هذه المادّة كما ذكر ابن فارس رحمه الله..والكربة مأخوذٌ في الأصل من الكَرَب؛ وهو عَقدٌ غليظ يوجَدُ في حبلِ الدَّلو..فسمَّوا الغمَّ الشديد

والشدّةَ العظيمة كرباً؛ فقوله ﷺ: **(مَن نفّسَ عن مؤمنٍ كُربَةً من كُرَبِ الدنيا)** يعني: من أراحَ وأزالَ عن مؤمنٍ شدّةً وهمّاً من شدائد وهموم الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُرَب يوم القيامة وتأمّلوا التعبيرَ بـ(نفّسَ)..فكأن هذا الكرب أحاطَ به وضيّقَ عليه موضعَ ومحلَّ التنفس..وفي هذا التعبير (نفَّس) إشارةٌ إلى أنَّ المسلمَ يسعى في التخفيفِ عن إخوانِه وإدخالِ السرورِ عليهم..وقولهﷺ: (عن مؤمنٍ) خصَّه بالذكر لأنه أشرفُ من غيرِه وأعلى مقاما؛ وليس هذا القيد مقصوداً؛ فقد خرجَ مخرجَ الغالب..فإن العلماءَ يقولون: الذمّي والمستأمن وغيرُه يدخل في هذا الحديث، للنصوص الأخرى من طلب الإحسانِ والأمرِ به..وللروايات الأخرى.

وقولهﷺ: **(نفسَ الله عنه عنه كربةً من كُرَبِ يومَ القيامة)** يدخُل في كربِ يومِ القيامة أهوالُ وشدائدُ القبر..وفي قوله ﷺ: (نفسَ الله عنه كربةً من كُرَبِ يومَ القيامة)..هنا ينقدح سؤال: أليست الحسنةُ بعشرِ أمثالِها؟ هذا ما دلَّت عليه النصوص، والله أكرمُ من خلقه؛ فلماذا جُوزيَ بفكِّ كُربةٍ واحدة يوم القيامة؟ أجاب على هذا أهل العلم فقالوا: كُرَبُ الدنيا جميعاً إذا اجتمعت من عصر آدم إلى قيام الساعةِ من أحزانٍ وهموم ومصائب؛ لا تُقارَن ولا تساوي كُربَ يومِ القيامة..فوصفُ أهوالِ يوم القيامة لمن تدبّرها عظيمةٌ مخيفة..وهذا فضلٌ عظيم من الله في مقابل تنفيس كربةِ مسلم، وفيه ترغيبٌ عظيم..والتنفيس عن المكروب له صورٌ كثيرة، قد يكون بإزالتِها كاملة أو بتخفيفِها، وقد تكون بالكلامِ أو بالجاهِ أو بالمالِ أو بالمواساةِ أو بالدعاءِ...إلخ..وقولهﷺ: (نفسَ الله عنه كربةً من كُرَبِ يومَ القيامة) فيه تقريرُ القاعدةِ المشهورة: الجزاءُ من جنسِ العمل﴿**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَان إِلَّا الْإِحْسَان** ﴾**[الرحمن:٦٠]** .وفيها إثباتُ الكُرَبِ يومَ القيامة.

وقولهﷺ: **(ومَن يسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة)** المعسِر هنا بمعناه العام، وهو كلُّ مُضيّقٌ عليه ومتعسّرٌ أمرُه، كمَن عليه حقٌّ ولا يستطيع أداءَه من دينٍ أو حقوقٍ لأهله ونحو ذلك..والتيسير عليه له صورٌ كثيرةٌ بحسَبِ حاله؛ فإن كان مديناً= فالتيسير بحطِّ الدين عنه أو مساعدته فيه أو بإنظاره، وإن كان فقيراً فبالتصدّقِ عليه..وإن كان بضائقةٍ في علمٍ وفتوى؛ فبتدريسهِ وتعليمهِ أو إفتائه..وهكذا..وقد ورد في الصحيح أن رجلاً كان غنياً

ويُقرِضُ الناس، ويقول لفتيانِه إذا وجدَ معسراً: تجاوزوا عنه لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنّا، فتجاوزَ اللهُ عنه..وقولهﷺ: **(ومَن يسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة)** يشمَل الأجرُ هنا الدنيا والآخرة..وهل يجوزُ أن يعمَل العبدُ العبادةَ لأجرٍ دنيوي؟ يعني لأجل ما يلحقه من بركاتٍ وأجورٍ دنيوية كالتوفيق والبركة والتيسير ونحوه؟ هذا ذكرنا الكلامَ عليه في حديث (إنما الأعمالُ بالنيات) وقلنا أنه جائزٌ ولا حرج فيه، وذكرنا كلامَ العلماء..وفي قوله: (يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة)..هنا ذكر الدنيا والآخرة؛ ولم يذكرها في تنفيس الكربة= فلماذا؟ هذا سؤالُ اختبار، وللعلماء فيه عدة توجيهات أسمَعُ الجواب منكم؛ وحتّى أسهّل عليكم؛ هناك إشارة للجواب في شرح أول الحديث..لكن لا بأس اذكروا ما يظهر لكم بعد التأمّل.

وقولهﷺ **(ومَن سترَ مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)**..السَّترُ هنا بمعنى الكتمان وعدمِ الإشهارِ..والسَّتر له صور كثيرة؛ فيشمَلُ سترَ الإنسانِ لنفسهِ ولغيره، وفي كلا الصورتين يستُرُ العورةَ والعيوبَ الحسّية والمعنوية كذلك..نمرُّ على هذه الأقسامِ سريعاً..قلنا أولا: يستر الإنسانُ نفسَه؛ فلا يفضحْ نفسَه ويذكرَ ما اقترفَه من المعاصي ومن الذنوب؛ فهذه من المجاهرةِ ومن طَمْسِ البصيرة؛ يعني بدلاً من الانكسارِ والتوبةِ والاستغفارِ وطلبِ الستر؛ يتحدّثُ بهذه الآفات..هذا هو العيب المعنوي. الحسي: يسترُ عورتَه ويستحي، فهذا خلُقُ أهل الديانةِ والمروءة..وقد ذهب الحياءُ في هذا الزمن من كثيرٍ من المسلمين؛ بل أشد من ذلك؛ صار الآباءُ والأمّهاتُ يعلمون أولادَهم خلعَ الحياء..نسأل الله أن يحفظَ شبابَ المسلمين..ومثلُ هذا الذي ذكرتُ يكون في حقوق الآخرين..إذن يستر نفسَه ويستر الآخرين..يشمَل الجميع..وهذا من بلاغتِه ﷺ..وهنا مسألة: يحتجّ كثيرٌ من الناسِ على مَن يُنكرون المنكرَ بهذا الحديث، ويقولون: اتركوا أهلَ المعاصي وشأنَهم؛ فهذا من سَترِ المسلم! وبعضُهم يذكرُ إشكالاً آخر ويقول: لماذا قال تعالى في حدّ الزاني ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾**[النور:٢]** في ظاهرها تعارض! والجواب: المذنبون صنفان: صنفٌ من ذوي الهيئات ممن لا يُعرَف ولم يشتهرِ بالفسادِ والفحشاء واقتراف الذنوب.وقسمٌ مشهورٌ باقتراف المنكرات؛ من أهلِ الفِسقِ والفجور..فأما القسم الأول وهو ذووا الهيئات فينبغي للمسلمِ أن

يسترَ زلاّتِهم، ولا يتحدّث بها..حتى أهلُ الحِسبةِ ممن وُكِّلَ وأُمِرَ بهذه المهمّة من قِبَلِ وليّ الأمر= فلهم أن يقوموا بالإنكارِ عليه، لكن يقتصروا على الحاجةِ ولا يزيدوا بالتشهير ونحوِهِ..لأنهم قد يحتاجون إلى التدخّل لقطعِ ما يفعله من منكر؛ فنقول: لهم ذلك، لكن يقتصروا على الحاجة..نأتي للقسم الثاني وهم المشهورون بالفجور..فهل يشملهم الحديث؟ قال العلماء يُرفَعُ أمرُهم إلى المسئول، ويُردَعون ويُعزّرون وتُقامُ عليهم الحدود لِئَلا تنتشر الفاحشة ويفسد المجتمع..طيب..إن لم يُرفَع أمرُه ولم يصل للمسئول؛ فهل يجوز التحدّثُ بما اقترفوا؟ يعني هل لهم حرمةٌ فلا تجوزُ غيبتُهم؟ ذهب بعضُ أهلِ العلم إلى أنهم لا حرمةَ لهم، فهم مجاهرون، مستحقُّون للتعزير..هكذا قالوا..وذهبتْ طائفةٌ من أهلِ العلم إلى عدمِ نشرِ معايبِهم، ولا التحدّثِ بها في المجالس، وإذا أُنكِرَ عليهم بقدر الطاقةِ والوُسعِ يكون الإنكارُ متّجهاً إلى الفعلِ لا الفاعلين من باب (ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا وكذا...)..وهذا القول هو الأقربُ والمختار إن شاء الله..أولا: لأن النصوصَ التي جاءت بالنهي عن الغيبة والنميمة وطلبِ السَّتر عامةٌ لم تُفرّق بين صنفٍ وصنف..ثانيا: الكلامُ والتصريحُ بهم يورِثُ مفاسدَ عظيمة؛ فيستنكفون من النصيحة، ويتجرأ الآخرون على هذه المعاصي ويعتادون عليها، ويتعلّم هذه المعاصي ويستهويها مَن لا يعرفها...إلى غير ذلك من المفاسد..ثم إنه لا مصلحةَ تُرجَى من التصريح بأسمائهم..ولا ينبغي للمسلم أن يعتاد على مضغِ أعراض المسلمين والكلام فيهم ونشر المعايب والمثالب..ويُستثنى من ذلك إذا كانت المصلحةُ هي الغالبة وذلك في حالاتٍ خاصة، كمَن يُستنصَح في تزويجه، أو ذكر ذلك لقرينٍ له لأجل نصيحتهِ أو إذا غلب على ظنّه خوفُه ورجوعُه إذا علِم بعضُ الناس ونحوُ ذلك..وعلى هذا يُحمَل ما جاء في تعزير أهل المعاصي علنا من قِبَل وليّ الأمر ليرتدع الناس وينزجروا؛ فالمصلحة هنا غالبة..فالقاعدة هكذا: الأصل هو السَّتر ما لم توَجد مفسدةٌ فيها..والمسألةُ فيها تفصيل يوجد في الشرح الثاني.

وقولهﷺ: **(ومَن سترَ مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)** هنا قال مسلما وفي الكربةِ قال: (مؤمنا) لماذا؟ هذا هو الاختبار الثاني.

وقولهﷺ: **(والله في عون العبد ما كان العبد في عونِ أخيه)**..في الحقيقة الوقت ضاق علينا..ومعنى هذه الجملة أنَّ اللهَ يعينُ عبدَه مدةَ كونِه متصفاً بصفةِ الإعانةِ لإخوانِه..ف **"ما"** هنا مصدريّة ظرفية كما مرّ عليكم في دروس النحو..، يعني فما دام العبدُ متصفاً بهذه الصفةِ، ويُعينُ إخوانَه ويسعى في ذلك متخلقًا بهذا الخلق كان الله في عونِه..ولو لم يكن في وقتِ حاجتِه تلك قائماً بإعانة أحد؛ فالكلام منصبٌ على المتصفِ بهذه الصفة، لا على القائمِ فيها فقط دون سائر الأوقات..انتبهوا فالفرق دقيق..والإعانةُ هنا تحصُل بصورٍ كثيرة، في مالٍ أو بدنٍ وغيرِ ذلك؛ والعبدُ محتاجٌ إلى معونةِ الله وتوفيقه كما قال الحكيم:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى *** فأول ما يجني عليه اجتهاده

ولذلك كان الصالحون يستجلبون معونةَ الله بالسعي في قضاء حوائج إخوانِهم..وفي هذا الباب قَصصٌ وأخبارٌ كثيرة.

وقولهﷺ: **(ومَن سلَك طريقاً يلتمِسُ فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة)** سلَكَ فقط ولو لم يصِر عالماً ولو لم يفهَم؛ هذا الأجرُ يحصُل بمجرّد سلوكِ طريق العلم..وهذا واللهِ فضلٌ عظيم، أسأل الله أن يُسهّل لنا ولكم طريقَ الجنة.والسلوك يكون بالحضور والسماع والقراءة والتلخيص والسفر ..إلخ ؛له صور كثيرة تدخل كلُّها في عموم هذا اللفظ..وقولهﷺ: **(ومَن سلَك)** إشارةٌ إلى الرّحلةِ والتعب في طلب العلم..وتأمّلوا قولَه ﷺ: (يلتمِسُ) الله أكبر!

وقوله ﷺ: (سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة)..يعني سهل له طريقا في الدنيا أو في الآخرة. هل المقصود في الدنيا بتسهيل الطاعات وفتح سبلِ الخير أو المقصود في الآخرةِ بأخذ الكتاب بيمينه وتيسير الحساب وعبور الصراط؟ الجواب : يشمَل الجميع، ومن لوازم الأول حصول الثاني أصلاً؛ إذا سهَّل الله له في الدنيا الطاعات حصل له الثاني .وفي هذه العبارةِ أنَّ العلمَ نفسَه عبادةٌ عظيمة، لا يُمكنُ أن يعبَدَ اللهَ على جهالة..والمراد بالعلم في هذا الحديث علمُ الشريعةِ وما يتعلّقُ بها، وأما العلومُ الأخرى= فصاحبُها مأجورٌ إن قصدَ نفعَ المسلمين ولا

شكّ، وهو من إعداد القوةِ التي أمرَنا الله بها، فإذا نوى سدّ حاجةَ المسلمين أُجر على ذلك أجرًا عظيمًا ،لكنها لا تدخُل في هذا الحديث.

وقولهﷺ: (**وما جلس قوم**) يشمل الكبار والصغار والعلماء والعوامّ والصالحين وغيرَ ذلك..وهذا فيه الحثُّ على الصحبةِ الصالحة..وقولهﷺ: (**في بيتٍ من بيوت الله**) يعني به المساجد؛ وهل هذا الفضل خاصٌّ بمَن جلَسَ في المساجد فقط؟ قولان لأهل العلم؛ والذي يظهرُ أنَّ هذا الفضلَ غيرُ مختصٍّ بمن جلس في المسجد، وأنه خرجَ مخرج الغالب بدليل حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الصحيح ولفظُه "لا يقعد قومٌ يذكرون الله"..وهذا لا يعني أنه يستوي الجلوسُ في المسجدِ وفي غيره؛ فلا شكّ أنَّ المسجدَ له فضلٌ، لكننا نتكلم على هذه الأجورِ المذكورةِ في هذا الحديث؛ وعلى هذا: فإذا اجتمعوا في صحراءَ أو سكنٍ أو مدرسةٍ= حصلت لهم هذه الأجور إن شاء الله.

وقولهﷺ: (**يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم**)..يقرأُ أحدهم فيعيدون وراءَه ،أو يقرأ أحدُهم ويستمع الباقون أو يُكمِلُ الثاني عند موقف من قبله، أو يدرسونَ تفسيرَه ومعانيه ونحو ذلك من الصور، وكان العلماءُ يفعلون هذا بعد الفجر وفي الصباح إلى زمنٍ قريب؛ أدركْتُ هذا في بلادي..وهذه الصور نُقِلَ عن الإمام مالك رحمه الله كراهتُها خلافاً للباقين..وأما القراءةُ الجماعيةُ بصوتٍ مرتفعٍ معاً تعبداً؛ فهذا مما تتابع العلماءُ على إنكارهِ وتبديعه، وعلى الصورة الأخيرةِ حمَلَ بعضُ المالكيةِ كلامَ الإمامِ مالك رحمه الله..والكلام فيه تفصيل كثير.

وقولهﷺ: (**إلا نزلت عليهم السكينة**)..أي الطُمأنينة؛ فتطمئنّ قلوبُهم..وقولهﷺ: (**وغشيتهم الرحمة**)..يعني شمَلَتْهُم من جميع الجوانب والجهات؛ فتستوعبهم وتُخالطُهم..فتُغفَر ذنوبُهم..وقولهﷺ: (**وحفتهم الملائكة**)..يعني أحاطَت بهم مع القُربِ والملاصقةِ..تشمَلُ هذه المعاني كلَّها؛ فلا يبقَ للشيطان عليهم سبيل..وهذا أمرٌ محسوسٌ؛ فمن جلسَ في بيئاتِ الذكر والعلم= وجدَ إيمانً ويقيناً..وهذا من آثار ما ذُكِرَ في الحديث..وهذا فيه أنَّ الملائكةَ تُحبُّ العلمَ وطلاّبَ العلم..وقولهﷺ: (**وذكرهم الله فيمن عنده**).. يعني يثني عليهم في الملأ الأعلى

عند الملائكةِ المقرّبين، ومن أثنى عليه ربُّ العزةِ والجلال= فقط نال كلَّ مطلوب..وقد رأينا فرحةَ مَن يُذكَر عند سلطانٍ أو غنيٍّ مع أنهم لا ينفعون ولا يضرّون! والله المستعان. قلوبنا تغيّرت !؛ فعلى المسلم أن يفرح بما عند الله ، ويُخرج هيبة المخلوقين ، والاعتقاد في كونهم ينفعون و يضرون ويعطون ويمنعون ويخفضون ؛ هذا يخرجها من قلبه ، فالخلق كلهم ضعفاء فقراء محتاجون إلى الله.

وقولهﷺ: **(ومَن بطّأ به عملُه لم يُسرِع به نسبُه)**..البُطء ضدُّ السرعةِ..والمقصود من لم يبلِّغْهُ عملُه الرتبَ المطلوبةَ المنجية= لم ينفعه نسبُه ولن يُبلّغَه شيئاً من ذلك، ولم يُلحِقْه درجةَ أهلِ الأعمال..فالعبرةُ عند الله بالأعمالِ والصفات لا الأنسابِ والأشكال..كما قال تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾**[المؤمنون:١٠١]** فالتقوى هي مدار التفضيل..والنسبُ له أحكامٌ لكنه في الشرح الثاني..وهذا الحديث كما رأيتم حديثٌ عظيم، وفيه فوائد عظيمة وكثيرة مرَرْنا على الثلث تقريبا؛ وفيه إن شاء الله البركة..

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .